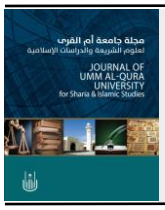

مجلة جامعة أم القرى

لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية

الموقع الإلكتروني: https://uqu.edu.sa/jill

جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

# يعقوب عليه الصلاة والسلام مثال الأب الصالح من منظور قرآني، دراسة موضوعية

# Jacob, Peace and Blessings be Upon Him, An Example of a Good Father from a Quranic Perspective, An Objective Study

**أ. د. سلمى داود إبرا هيم بن داود**

أستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية

**Prof. Salma Daoud Ibra Heim Bin Dawood**

Professor, College of Da`wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia.

تاريخ التقديم:03/01/2023 تاريخ ارسال التعديلات: 06/06/2023 تاريخ القبول:06/07/2023

Received:03/01/2023 Revised:06/06/2023 Accepted: 06/07/2023

**الملخص:**

يتناول هذا البحث الأب القدوة الصالحة لأبنائه من خلال قصة يعقوب عليه الصلاة والسلام ومواقفه مع أبنائه في القرآن تحت عنوان: "يعقوب عليه الصلاة والسلام، مثال الأب الصالح من منظور قرآني، دراسة موضوعية"، وهدف من هذا البحث إلى تحديد أبرز صفات يعقوب عليه السلام وتوضيح أهم وسائل التواصل التي استخدمها يعقوب عليه السلام في التواصل مع أبنائه لتربيتهم تربية صالحة، حيث سلك الباحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي في تتبع حياة يعقوب عليه السلام وصفاته وأساليب تعامله مع أبنائه على ضوء القرآن الكريم، كما استخلص عدة دروس تربوية المستفادة من تعامل يعقوب الأب مع أبنائه في القرآن الكريم. ووصل في خاتمة بحثه إلى أن الابوة الصالحة أمر كسبي يقوم على توافر عدد من الصفات في الشاب تؤهله إلى أن يكون أباً يقتدي به، كما أن هناك بعض العوامل الفطرية المساعدة في تشكيل شخصية الأب القدوة، ككرم المعدن، وشرف النسب، حيث توافرت في شخصية يعقوب عليه السلام مقومات الأب القدوة للأجيال من بعده. ثم أوصى في خاتمة بحثه الباحثين في حقل التربية أن يكثفوا الأبحاث والدراسات المتعلقة بالإصلاح الأسري في حياة الأنبياء عليهم السلام من خلال تتبع سيرهم وأخبارهم من زاوية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

**الكلمات المفتاحية:** يعقوب، أب، القدوة.

## Abstract:

This research handles the father, who is an an excellent example for his children through the story of Jacob, peace and blessings be upon him. His stances with his children in the Qur'an are under the title "Jacob, peace and blessings be upon him, an Example of a Good Father from a Quranic Perspective, an Objective Study." The aim of this research is to identify the most prominent characteristics of Jacob, peace be upon him. It also identified the most important means of communication that Jacob, peace be upon him, used to communicate with his children to raise them well. The researcher followed the inductive-deductive approach in tracing the life of Jacob, peace be upon him, as well as his characteristics and methods of dealing with his children in the light of the Holy Quran. It also drew several educational lessons learned from Jacob's dealings with his children in the Holy Qur'an. At the conclusion of his research, he concluded that good fatherhood is an earned matter based on the availability of several qualities in the young man that qualify him to be a father to follow. There are also some innate factors that help in shaping the character of a role model father, such as generosity of character and honor of lineage, which were present in the character of Jacob. Peace be upon him, and the characteristics of a role model father for generations after him. The research recommended those working in scientific research in the field of education and guidance to intensify research and studies related to family reform in the life of the prophets, peace be upon them, by tracing their biographies and their news from the angle of the Noble Qur'an and the honorable Sunnah of the Prophet.

**Keywords:** Jacob, Father, Role Model.

**معلومات التواصل** : سلمى داود إبرا هيم بن داود

البريد الالكتروني الرسمي : Sbbindawood@uqu.edu.sa

Doi: https://doi.org/10.54940/si52475159

**1658-8738 / © 2023** by the Authors.

Published by ***J. Umm Al-Qura Univ. Shariah. Sci. Islamic Stud.***

**المقدمة**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم ليقدم إلى البشرية النموذج الراقي والأمثل لحل كل من الإشكالات الفكرية والعلمية والاجتماعية والأخلاقية التي تعاني منها.

فقال – عز من قائل –: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ ...الآية [الإسراء:9]، قال ابن كثير: «يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وهو القرآن بأنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل»(1).

ومن أهم تلك القضايا التي عني القرآن بتقديم الطرق المثلى فيها، شخصية الأب القدوة الذي يترسم الأبناء خطاه ليتمكنوا من تربية الأولاد التربية الصالحة، فقص علينا في القرآن الكريم الكثير من القصص التي توحي لنا بهذه القيمة الاجتماعية العظيمة للأنبياء والمرسلين والصالحين، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ...الآية [يوسف:111]. قال ابن الجوزي: «عِبْرَةٌ أي: عظة لأولي الألباب أي: لذوي العقول السليمة»(2).

وفي غمرة سطوة الحياة المادية وغلبتها على كثير من القيم الاجتماعية، والتسارع الكبير في مجال الاتصال والتكنولوجيا التي أحدثت جراء ذلك خلطاً في تقييم العلاقات بين الآباء بأبنائهم وطبيعة الآباء ومفهومهم للأبوة ومقوماتها، ما يجعل هذا الموضوع غاية في الأهمية، إضافة إلى أنه يسلط الضوء على جوانب مهمة من شخصية نبي الله يعقوب عليه السلام، والذي ورد اسمه في ستة عشر موضعاً في القرآن الكريم، تسعة منها مقرونة بذكر بنيه أو ذريته أو آل بيته، وهذا ما يجعله ممتلكاً لمقومات الأبوة التي تجعله منه أباً يحسن التعامل مع أبنائه بصورة مثلى، يمكن اتخاذها نموذجا يقتدى به.

من هنا اختار الباحث أن يعنون بحثه بعنوان: «يعقوب عليه السلام، مثال الأب الصالح من منظور قرآني، دراسة موضوعية».

**مشكلة البحث:**

المشكلة التي يحاول البحث حلها في أنها تسعى إلى تقديم مثال أبوي يقتدي به في عصر تشتكي فيه الأجيال المتأخرة في هذا العالم في الواقع من ضعف الأواصر الاجتماعية وطغيان الثقافة المادية، وما ترتب على ذلك من ضعف تأثير قنوات التربية ومنابر التوجيه وسيطرة مواقع التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت على تشكيل عقول الأبناء وتصوراتهم الذهنية، من خلال وضع أطر للشخصية الأبوية ووسائل التواصل الصحيحة والفعالية مع الأبناء لاستصلاحهم، وهذا ما يمكن أنه يجمل في سؤال رئيس وهو: هل من الممكن تقديم نبي الله يعقوب عليه السلام كنموذج يحتذى للأبوة الصالحة من خلال معطيات القصص القرآني؟.

**تساؤلات البحث:**

يقوم هذا البحث على سؤال رئيس وضعه الباحث، وهو: هل يمكن تقديم شخصية يعقوب عليه السلام كمثال للأب الصالح من منظور قرآني؟

ويتفرّع عن هذا السؤال مجموعة من الأسئلة، وهي:

س/ من هو يعقوب عليه السلام؟

س/ ما هي أبرز صفات يعقوب عليه السلام؟

س/ ما هي أهم وسائل التواصل التي استخدمها يعقوب عليه السلام في التواصل مع أبنائه لتربيتهم تربية صالحة؟

س/ ما هي أبرز الدروس التربوية المستفادة من تعامل يعقوب الأب مع أبنائه في القرآن الكريم؟

**أهمية البحث:**

تأتي أهمية هذا البحث في أنه يقدم نموذجاً ناجحاً قابلاً لأن يكون إحدى الحلول الجذرية لكثير من المشاكل والأمراض الاجتماعية التي تهدد البيوت المطمئنة وتنقض أساساتها، من خلال منهج التربية القرآني، فهو يبرهن على ثراء ذلك المنهج ومدى صلاحيته الواسعة في معالجة مثل تلك القضايا، ويتجلى ذلك فيما قصه علينا القرآن الكريم من قصة يعقوب عليه السلام مع أبنائه، والتي تنوعت فيها الأبعاد التوجيهية والإرشادية للمربين، ما يعني بطبيعة الحال تعدد الوسائل وتضافرها لتصل في نهاية الأمر إلى الإصلاح والتقويم والتهذيب، كما أن هذا البحث يشجع غيره من الباحثين على خوض غمار هذه التجربة البحثية التي – لا شك – ستلقي بظلالها على المكتبة التربوية القرآنية، لتشكل إحدى المراجع التربوية للآباء والمربين والمعلّمين.

**أهداف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

– تسليط الضوء على يعقوب عليه الصلاة والسلام كأب قدوة.

– تحديد أبرز صفات يعقوب عليه السلام.

– توضيح أهم وسائل التواصل التي استخدمها يعقوب عليه السلام في التواصل مع أبنائه لتربيتهم تربية صالحة.

– استخلاص أبرز الدروس التربوية المستفادة من تعامل يعقوب الأب مع أبنائه في القرآن الكريم.

**منهج البحث:**

اختار الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي الاستقرائي من خلال استقراء وتتبع أحوال نبي الله يعقوب عليه السلام وسيرته وتعامله مع أبنائه من خلال المواضع التي ذكرته في القرآن الكريم، لدراسة كل ذلك من ناحية اجتماعية، لاستجلاء الشخصية الأبوية ومقومات تلك الشخصية، مع استنباط الدروس والفوائد من الآيات للوصول إلى نتيجة واضحة إيجابية على الأب وعلى الأبناء على حد سواء.

**الدراسات السابقة:**

تناولت كتب التفاسير والسير وقصص الأنبياء عليهم السلام قصة نبي الله يعقوب عليه السلام من حيث التعريف به وبنسبه وأحواله مع التركيز الشديدة على كونه نبيا من الأنبياء بصورة واسعة وشاملة، مع التعرّض إلى أخباره مع أبنائه.

إلا أنه ظهرت مؤخراً مجموعة من المقالات والدراسات التي سلطت الضوء على الجوانب التربوية في القرآن الكريم كدراسة كل من:

– محمود، ماجد أيوب، بعنوان: «المضامين التربوية المستنبطة من سورة يوسف وتطبيقاتها التربوية»، 2013.

هدفت هذه الدراسة إلى استنباط المضامين التربوية في سورة يوسف في

(1) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، (45/5).

(2) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، (478/2).

مجالات الأهداف والأساليب التربوية وعمليات العلم، متبعا المنهج الاستنباطي.

– الصلاحين، عبد الكريم محمود، بعنوان: «الأساليب التربوية المستنبطة من سورة يوسف عليه السلام وكيفية إفادة المنهج المدرسي من تضميناتها»، 2011م.

هدفت إلى تعرف الأساليب التربوية التي تضمنتها، وكيفية إفادة المنهج المدرسي من تضميناتها. ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم المنهج التحليلي الاستنباطي، وذلك بتقصي الآيات ذات العلاقة بالموضوع، ثم ربطها بالموضوع الذي تشترك فيه سواء كانت تلك الآيات متتابعة أم غير متتابعة.

– التويجري، فهد بن عبد الله، بعنوان: «المواقف التربوية والدعوية من سورة يوسف»، 2005م.

تناول الباحث السورة من خلال استنباط الفوائد والفروق بين قصها في القرآن وكتب أهل الكتاب المحرّفة، وشخصية يوسف عليه السلام وما يتميز به من خصائص دعوية وتربوية، إضافة إلى واجبات وأخلاق الداعية إلى الله وأبرز الابتلاءات التي تعترض في هذا الطريق، وأهم خصال الخير وأهم خصال الشر.

وهذه الدراسات وإن كانت تتناول الحقل التربوي إلا أنها لم تتناول موضوع الدراسة الحالية، ولكن هناك مقالات منثورة في المواقع تناولت موضوع البحث من زوايا محددة، كمقال: (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون): منهج يعقوب عليه السلام في التعامل مع مشكلة أبنائه، لـ موسى، فؤاد محمد، 2018م، في موقع الألوكة، وقد تحدث المقال عن جانب من جوانب الشخصية الأبوية ليعقوب عليه السلام[3]. ومقال بعنوان: «نبيّ الله يعقوب يعلمكم»، للكاتبة: فجر الأمل، بدون تاريخ، من موقع صيد الفوائد[4]، وكذلك مقال بعنوان: «موقف سيدنا يعقوب عليه السلام من أبنائه»، لـ النعسان، أحمد شريف، 2020م، في موقعه الخاص على شبكة الإنترنت[5].

أما الدراسة الحالية فيريد منها الباحث التوسع في الاستفادة من هذه المواقف باعتبارها خارطة طريق للآباء في التعامل مع الأبناء في حل المشاكل، لا أن تتطرق لموقف من تلك المواقف، والتي غالبا ما تتناول آيات من سورة يوسف عليه السلام، كما هو الحال مع هذه المقالات التي أشار إليها الباحث في هذه الجزئية.

**خطة البحث:**

سأسير في هذا البحث على التقسيم الآتي:

- **المقدمة:** تشتمل على: مشكلة البحث، وتساؤلاته، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة.
- **المبحث الأول: التعريف بنبي الله يعقوب عليه السلام، وفيه أربعة مطالب:**
  - المطلب الأول: اسمه ونسبه.
  - المطلب الثاني: حياته.
  - المطلب الثالث: أبناؤه.
  - المطلب الرابع: مكانته الاجتماعية.
- **المبحث الثاني: صفاته الواردة في القرآن الكريم، وفيه أربعة مطالب:**
  - المطلب الأول: الخلفية السلوكية.
  - المطلب الثاني: الحياة العملية.
  - المطلب الثالث: العبودية لله تعالى.
  - المطلب الرابع: مواصفات الأب القدوة على ضوء صفات نبي الله يعقوب.
- **المبحث الثالث: تعامل يعقوب الأب مع أبنائه في القرآن الكريم، وفيه خمسة مطالب:**
  - المطلب الأول: الحوار والنقاش معهم.
  - المطلب الثاني: محبتهم والخوف عليهم.
  - المطلب الثالث: الحلم والصبر عليهم.
  - المطلب الرابع: تعميق علاقتهم بالله تعالى.
  - المطلب الخامس: تعزيز الجوانب الإيجابية فيهم.
- **المبحث الرابع: الفوائد التربوية المستفادة للآباء من قصة يعقوب من منظور قرآني.**
- **الخاتمة:** وفيها أبرز النتائج والتوصيات، تليها: قائمة المصادر والمراجع.

والله أسأل التوفيق والإعانة والسداد.

## المبحث الأول

## التعريف بنبي الله يعقوب عليه السلام

- **المطلب الأول: اسمه ونسبه:**

**– اسمه:**

جاء القرآن الكريم بتسميتين لهذا النبي الكريم، وهما:

1- يعقوب: وقد ذكره الكريم في عدة مواضع كما مر في المقدمة، ومن تلك المواضع:

أولاً: قوله عز وجل: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:132].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء:72].

2- إسرائيل: وقد ورد في اسم إسرائيل، ومعناه: صفوة الله، أو عبد الله وجاء ذلك في موضعين:

أحدهما: قوله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ﴾ [آل عمران:93].

الثاني: قوله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾ ...الآية [مريم:58].

**– نسبه:**

ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية نسب هذا النبي الكريم بأنه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام[6]، فأخبر الله تعالى بذلك فقال تعالى حكاية عن امرأة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [هود:71]. قال السمعاني: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ «أي: من بعد إسحاق يعقوب. قال أبو عبيدة: الوراء: ولد الْوَلَد[7]. وقال البغوي: فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ، أي: من بعد إسحاق، يعقوب، أراد به ولد الولد،

(3) للاطلاع على المقال: https://www.alukah.net/social/0/131146

(4) للاطلاع على المقال: http://www.saaid.net/daeyat/fajr/10.htm

(5) للاطلاع على المقال: https://www.naasan.net/index

(6) انظر ما يلي: تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، (316/1)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، (371/1)، والكامل في التاريخ، محمد بن محمد ابن الأثير، (113/1).

(7) تفسير القرآن الكريم، منصور بن محمد السمعاني، تفسير القرآن الكريم، (443/2).

فَبُشِّرَتْ أنها تعيش حتى ترى ولد ولدها[8]. وعلى هذا الترتيب يكون الجد هو خليل الله إبراهيم، وابنه إسحاق، وحفيده يعقوب عليهم السلام».

وأما نسبه في السنة النبوية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: ((أَتْقَاهُمْ)) قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: ((فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابْنُ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ خَلِيلِ اللهِ)) ...الحديث[9]. قال النووي في شرح هذا الحديث مؤكداً لهذا الترتيب: «فإنه يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم»[10].

- **المطلب الثاني: حياته:**

يمكن للمتتبع لحياة نبي الله يعقوب عليه السلام أن يقسّم مراحلها إلى أربعة أقسام، على النحو التالي:

**1- مرحلة البشارة:** وهي مرحلة ما قبل ولادة يعقوب عليه السلام، إذ بشر الله جده إبراهيم عليه السلام به وبنبوته قبل خلقه، وهي على حالتين:

**أ- بشارته لجده إبراهيم الخليل وزوجته سارة به من بعد أبيه إسحاق:** وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:69-71]، و«قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ﴾، أي: من بعد إسحاق، يعقوب، أراد به ولد الولد، فبشرت أنها تعيش حتى ترى ولد ولدها»[11].

**ب- إخبار جده إبراهيم الخليل بنبوته:** فأنعم الله عليه بالنبوة قبل خلقه بشارة وهبة منه تبارك وتعالى لجده إبراهيم، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:49]. وَقوله: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ «يَعْنِي: إسحاق ويعقوب»[12].

**2- مرحلة البداوة «مرحلة الكمال والأبوة»:** وقد أشار القرآن الكريم إلى حياة البداوة التي عاشها نبي الله يعقوب وبنوه عليهم السلام، فقال مخبراً عن يوسف عليه السلام وهو يعدد نعمه تعالى عليه وعلى أبويه وإخوانه: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: 100] «والبدو بسيط من الأرض يسكنه أهل المواشي بماشيتهم، وكانوا أهل بادية ومواشي، يقال: بدا يبدو بدوا»[13].

**3- مرحلة الانتقال إلى مصر:** لم يذكر في القرآن والأحاديث النبوية ولا عن السلف عمر يعقوب عليه السلام عند وفاته أو مدة مكثه في مصر، لكن ذكر ذلك المؤرخون من علماء المسلمين، وذلك أنه عاش في مصر سبعة عشرة سنة، وأنه عاش مائة وعشرين سنة، وقيل مائة وثلاثين سنة، وقيل مائة وأربعين سنة، وأنه أوصى بأن يدفن في الشام عند أبيه إسحاق وجده إبراهيم عليه السلام[14].

**4- وفاته:** ألمح القرآن الكريم إلى اللحظات الأخيرة من حياة يعقوب عليه السلام، في قوله عز وجل: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:133]. «قال عطاء: إن الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحياة والموت، فلما خير يعقوب قال: يا رب أنظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم، ففعل الله ذلك به، فجمع ولده وولد ولده وقال لهم: قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وكان إسماعيل عما لهم، والعرب تسمي العم أبًا كما تسمي الخالة أمّاً»[15]، وبهذه الإضاءة القرآنية تنتهي فصول حياة هذا النبي الكريم عليه السلام.

- **المطلب الثالث: أبناؤه:**

ذكر المؤرخون أن يعقوب عليه السلام له زوجتان وجاريتان، وقد أنجب من كل منهن أبناء، وهم على النحو التالي[16]:

«- ليئة بنت لابان؛ وأنجبت له كلاً من: روبيل وهو أكبر ولده، وشمعون أو سمعان، ويهوذا، وزبالون، ويسحر، ودينة بنت، ويساخر أو يسحر أو يشحر.

- راحيل بنت لابان؛ وأنجبت له كلاً من: يوسف، وبنيامين.

- الجارية زلفة؛ وأنجبت له كلاً من: دان، ونفثالي.

- الجارية بلهة؛ وأنجبت له كلاً من: جاد، وأشر. فيكون أبناؤه على هذا اثنى عشر ولدا».

«والرأي المشهور عند أهل العلم أن أبناء يعقوب عليه السلام لم يكونوا أنبياء إلا يوسف عليه السلام فهو من اختصه الله بالنبوة والوحي، مستدلين بالأفعال والأقوال التي صدرت منهم تجاه يوسف عليهم السلام، وذلك لا يقع من الرسل والأنبياء.

وهم الأسباط الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه، ومعنى الأسباط أي شعوب بنو إسرائيل وقبائلها التي تفرّق منها بنو إسرائيل، كما أنه ليس هناك نص من القرآن أو السنة يدل على أنهم أنبياء يوحى إليهم من السماء، والله أعلم»[17].

- **المطلب الرابع: مكانته الاجتماعية:**

حظي نبي الله يعقوب عليه السلام بمكانة اجتماعية مرموقة، فقد سبقت الإشارة إلى أنه نبي بن نبي، فجده هو إبراهيم عليه السلام، خليل الله تعالى، ذلك النبي الذي منّ الله عليه ورفع بين العالمين مقامه، فخاطبه تبارك وتعالى بقوله: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ [البقرة: 124]؛ فيُأتم ويقتدي به من يجيء من بعدهم من الناس من المؤمنين، ويكون مقدَّمهم في توحيد الله تعالى والإيمان به وبرسله، فيتبعون هديه ويستنون بسنته[18]، وهو الذي منّ الله عليهم برفع أساسات الكعبة المشرفة، والمقامات في تحديد أركان المسجد الحرام ومكة المكرمة، ومناسك الحج مثل عرفة ومزدلفة وغيرها[19]، «وكل الكتب التي أنزلها الله تعالى من السماء على أنبيائه من بعده فهو على رسول أو نبي من

(8) معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، (457/2).

(9) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل يوسف عليه السلام، رقم (2378)، (1846/4).

(10) شرح النووي على صحيح مسلم (134/15).

(11) الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (457/2).

(12) تفسير القرآن، منصور بن محمد السمعاني، تفسير القرآن، (297/3).

(13) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (362/12)، ومعالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، (516/2).

(14) انظر: تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، (364/1)، والكامل في التاريخ، علي بن محمد بن محمد ابن الأثير، (137/1)، وقصص الأنبياء، إسماعيل ين عمر بن كثير، (358/1).

(15) معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، (171/1).

(16) المرجع السابق، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، (309/1)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، (450/1).

(17) قصص الأنبياء، إسماعيل ين عمر بن كثير، (309/1).

(18) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (509/2).

(19) انظر: الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (163/1).

ذريته»[20]، كما ولد من صلبه رجلين عظيمين: إسماعيل عليه السلام الذي من ذريته العرب، والذي بعث منهم محمد صلى الله عليه وسلم، وإسحاق والذي ينسب إليه بنو إسرائيل بكل أسباطهم والذين تسلسلت فيهم النبوة وتتابعت وآخرهم عيسى ابن مريم عليه السلام[21]، وقد وردت كلمة إسرائيل في القرآن الكريم ثلاثة وأربعين مرة، منها إحدى وأربعون آية مضافة إلى كلمة بنى أي «بنى إسرائيل» وفى ثلاث آيات جاءت كلمة إسرائيل مفردة «إسرائيل»[22].

فيعقوب عليه السلام كريم بن كريم وأب لكريم، كما حديث أبي هريرة، قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: ((فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابْنُ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ خَلِيلِ اللهِ)) ...الحديث[23]. وأي كرم أعظم من أن يكون يعقوب إلى جانب وضوح وشرف نسبه وشرف النبوة متصفاً في مجتمعه خصوصاً وبين الأمم عموماً بمكارم الأخلاق والسيرة الحسنة عليه من الله الصلاة والسلام.

## المبحث الثاني

## صفاته الواردة في القرآن الكريم.

- **المطلب الأول: الخلفية السلوكية:**

من تأمل المنظومة الأخلاقية عند نبي الله يعقوب عليه السلام من خلال دراسة أبعاد شخصيته في القرآن الكريم فإنه يمثل التكامل الإيجابي الذي يجعل منها محط اهتمام الدارسين واقتداء المتبعين للأنبياء والمرسلين، والتي يمكن استنباطها من قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص:47]، وهذه الآية تعد وثيقة ربانيّة لأولئك الصفوة الذين توسط سلسلتهم نبي الله يعقوب عليه السلام، إذ اصطفاهم الله تعالى دون غيرهم وشهد لهم بالخيرية فكانوا خير من يضطلع بمهمة توجيه الناس ودلالتهم على الله تعالى.

«فكأنه سبحانه وبحمده يقول: إن هؤلاء الذين ذكرنا عندنا لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة الأخيار، الذين اخترناهم لطاعتنا ورسالتنا إلى خلقنا»[24]. فيكون معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ الذين اصطفاهم الله من صفوة خلقه، و﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ الذين لهم كل خلق كريم، وعمل مستقيم[25]، كما كانوا أصحاب النعم الناس والإحسان إليهم وتقديم الخير لهم[26]، فيعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام، ممن زكاهم الله وميزهم عن خلقه بالحرص على نفع الناس واكتساب الفضائل، والبعد عن كل ما يشين من القول والفعل من المعاصي والسيئات والرذائل.

- **المطلب الثاني: الحياة العملية:**

كان نبي الله يعقوب عليه السلام صاحب عمل يسعى به على نفسه وأهله، فكان صاحب ماشية يرعى بها في البادية كما مر، وكانت مهنة الرعي مهنة امتهنها جميع أنبياء الله تعالى، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه: قَالَ: ((ما بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ))، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: ((نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ))[27]، وفي هذه المهنة تربية للأنبياء على التواضع واجتناب للكبر مع كونهم من صفوة خلق الله تعالى، كذلك من الأنبياء الذين رعوا الغنم موسى عليه السلام وداود عليهما السلام كما هو معروف بين أهل التاريخ والسير[28]. وفي هذه المهنة كذلك إعداد الرسل وتأهيلهم قبل تحملها تعويدا لهم على الصبر والشفقة والرحمة[29]، ولما يحصل لهم من التدريج على ذلك برَعْي الغنم، وخُصَّتِ الغنم بذلك لكونها أضعف مِن غيرها؛ ولأنَّ تَفرقها أكثر من تفرُّق الإبل والبقر؛ لإمكان ضبط الإبل والبقر بالرَّبْطِ دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقيادًا من غيرها[30].

- **المطلب الثالث: العبودية لله تعالى:**

توسم يعقوب عليه السلام خطى سلفه الصالح من آبائه من الأنبياء عليهم السلام، فكان شديد التعلق بالله تعالى، دائم العبادة والقنوت له تبارك وتعالى، قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: 45-46]، «قال ابن عباس: أولي القوة في طاعة الله، والأبصار في المعرفة بالله أي البصائر في الدين، قال قتادة ومجاهد: أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين»[31]، فوصفهم بالعلم النافع، والعمل الصالح الكثير.

«وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ عظيمة، وخصيصة جسيمة، وهي: ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، والعمل لها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبة لله وصفهم الدائم، وجعلناهم ذكرى الدار يتذكر بأحوالهم المتذكر، ويعتبر بهم المعتبر، ويذكرون بأحسن الذكر»[32].

وقد سبقت الإشارة إلى أن يعقوب عليه السلام يسمى كذلك بإسرائيل، وهو في لسانهم بمعنى عبد الله وصفوته، وهو وصف أكثر من كونه اسماً، ومعنى مجموع ذلك كله أنه كان إماماً في العبادة والعلم بالله تعالى والإيمان به، حاضر القلب، ثاقب البصيرة، دائم التفكر في خلق الله وآلائه، شديد التعلق به.

فقد وصُف هو وأبوه وجده بالصلاح، وفعل الخيرات، والعبودية لله: قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:72-73]. «قوله: ﴿وَكُلًّا﴾ من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ أي: قائمين بحقوقه، وحقوق عباده، ومن صلاحهم، أنه جعلهم أئمة يهدون بأمره. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يفعلونها ويدعون الناس إليها، وهذا شامل لجميع الخيرات كلها، من حقوق الله، وحقوق العباد. ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا﴾ أي: لا

(20) قصص الأنبياء، إسماعيل بن عمر بن كثير، قصص الأنبياء، (333/1).

(21) المرجع السابق، مع شيء من التصرّف.

(22) مقال في جريدة المصري اليوم، بعنوان: إسرائيل في القرآن الكريم، بتاريخ 2020/9/27م.
https://www.almasryalyoum.com/news/details/2047782

(23) سبق تخريجه.

(24) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (219/21).

(25) المرجع السابق، (120/20)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الكريم الرحمن، (714/1).

(26) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (502/4).

(27) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، رقم (2262)، (88/3).

(28) انظر: عمدي القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، (80/12)، بشيء من التصرف.

(29) موقع الموسوعة الحديثية، شرح حديث ما من نبي وإلا ورعى الغنم:
https://dorar.net/hadith/sharh/118739

(30) انظر: المرجع السابق، وعمدة القاري، محمود بن أحمد العيني، (80/12)، بشيء من التصرف.

(31) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (714/1).

(32) المرجع السابق.

لغيرنا ﴿عَٰبِدِينَ﴾ أي: مديمين على العبادات القلبية والقولية والبدنية في أكثر أوقاتهم، فاستحقوا أن تكون العبادة وصفهم»[33].

- **المطلب الرابع: مواصفات الأب القدوة من شخصية يعقوب عليه السلام من القرآن الكريم:**

لو تمعنا في الصفات الآنفة الذكر ليعقوب عليه السلام لوجدناه في مجموعها من أهم مكونات الأبوة الصالحة، وقد قسمتها على قسمين:

**القسم الأول:** صفات اشترك فيها يعقوب مع أبيه وجده عليهم السلام.

**القسم الثاني:** صفات خاصة ركّز عليها القرآن الكريم ليعقوب عليه السلام كانت ذات أثر حسن على أبنائه.

**أما بالنسبة للقسم الأول الذي يتناول الصفات المشتركة، فيدور حول ثلاث قضايا أساسية، وهي:**

**1- صلاح البيت:** قال الله تعالى مخبراً عن جده إبراهيم الخليل وأبيه إسحاق عليهم السلام قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص:47] «أي: المختارين من أبناء جنسهم، والأخيار: جمع خَيْر أو خَيِّر - بالتثقيل والتخفيف - كأموات في جميع مَيِّتٍ أومَيْتٍ»[34]، ومعلوم أن الابن إذا نشأ بين آباء كرام صالحين فإنه سرعان ما يتأثر بذلك الجو، وينعكس عليه ذلك حين يكون أباً في إدارته لبيته، وهذا ما يدركه الناظر في شخصية يعقوب عليه السلام.

**2- الذكر الطيب وحسن السيرة:** قال الله تعالى مخبراً عن إسحاق ويعقوب: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [الأنبياء:50]. «قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾، يعني ثناء حسنا رفيعا في كل أهل الأديان، فكلهم يتولونهم ويثنون عليهم»[35]. والشاب إذا كان ذا أخلاق كريمة، وسيرة حميدة، حظي بالاحترام والتقدير في مجتمعه والأبوة الصالحة بين أبنائه.

**3- العمل الشريف:** كان دأب نبي الله يعقوب عليه السلام السعي في الأرض لتحصيل الرزق بالعمل الشريف رعي الأغنام في البادية، وقد ذكر ذلك يوسف عليه السلام مثنياً على الله تعالى، فقال تعالى: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ ...الآية [يوسف:100]، والعمل الشريف يفتح أمام سبل النجاح في حياته والاستقرار في بيته وعائلته، فهو لا يعيب ولا ينقص صاحبه، وهو عصمة للنفس عن تناول الحرام وتعاطيه، وخير لصاحبه من البطالة والكسل والاعتماد على جهود الآخرين، وبه تقاس جدية الشاب ومدى تحمله للمسؤوليات والمهام الموكلة إليه، وهذا ما نجده في شخصية يعقوب عليه السلام فكان مثالاً للأب الصالح المسؤول.

**القسم الثاني الذي يتناول الصفات الخاصة به عليه السلام في الأثر الإيجابي للأب الصالح على أبنائه، فيدور على قضيتين أساسيتين، وهي:**

1- اتصف بتعهد الأبناء بالنصيحة والتوجيه: كان يعقوب عليه السلام يجتهد في النصح لأبنائه، منفردين نجده ينصح ابنه يوسف عليهما السلام عندما قص عليه رؤياه كما سيأتي، فيقول له: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف:5]، وكذلك نجده ينصح أبناءه عندما أرادوا دخول مصر لطلب الميرة مجتمعين كما سيأتي، فيقول لهم: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ ...الآية [يوسف:67]، ولا يزال كذلك حتى نصحهم في وقت شدتهم قائلاً لهم حين أرسلهم ليتفقدوا أخاهم ويوسف عليه السلام كما سيأتي، فيقول لهم: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: 87]، حتى بعد أن رأى أبناءه مجتمعين مترابطين في أرض مصر لم يترك ذلك بل جمعهم، وأوصاهم كما ذكر الله تعالى، فقال: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 132]. «إن الله اصطفى لكم هذا الدين الذي قد عهد إليكم فيه، فاتقوا الله أن تموتوا إلا وأنتم عليه»[36].

2- اتصف بالعلم والخبرة: وذلك مستنبط قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:68]. «أي: لصاحب علم عظيم ﴿لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي: لتعليمنا إياه، لا بحوله وقوته أدركه، بل بفضل الله وتعليمه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ عواقب الأمور ودقائق الأشياء وكذلك أهل العلم منهم، يخفى عليهم من العلم وأحكامه ولوازمه شيء كثير»[37].

3- اتصف بالفراسة: فعندما تقدّم إليه أبناؤه بدعوى أن يوسف عليه السلام قد أكله الذئب، وجاءوا إليه بقميص ابنه وعليه آثار دمائه، لم يزد على أن قال لهم: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:18]. فقوله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أي: زينت لكم أنفسكم أمرا قبيحا في التفريق بيني وبينه، لأنه رأى من القرائن والأحوال (ومن رؤيا يوسف التي قصّها عليه) ما دلّه على ما قال[38]، وقد كان مما استدل به على كذبهم صحة القميص وقال لهم متى كان هذا الذئب حكيماً يأكل يوسف ولا يخرق القميص[39].

ومجمل القول في هذا المبحث أن المتأمل في الصفات التي شكلت شخصية نبي الله يعقوب عليه السلام رصيد تربوي كبير لأولئك الطامحين إلى أن يكونوا خير مثال لأبنائهم في الأخلاق والسلوك والالتزام الديني والتواصل الاجتماعي الفعال.

## المبحث الثالث

## تعامل يعقوب الأب مع أبنائه في القرآن الكريم

- **المطلب الأول: الحوار والنقاش معهم:**

لم يكن يعقوب عليه السلام بعيداً عن أبنائه، وإنما كان قريباً منهم مكاناً ووجداناً، يجمعهم حوله ويعطيهم من اهتمامه وعطفه، وهذا لمعرفته أن ذلك من عوامل إصلاحهم وتوجيههم، ومن أهم تلك الأساليب الحوار، وإن كان أسلوباً في ظاهر الأمر بطيء التأثير إلا أنه فعال ومضمون النتائج.

**نماذج من حوارات يعقوب عليه السلام مع أبنائه:**

**الحوار الأول:** ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف:4-5].

فيوسف عليه السلام في هذا الموضع هو من بدأ بالحوار بصيغة الإخبار، وكأنه يتطلع إلى أن يكون حواراً مثمراً يعود عليه بالفائدة، فيجيبه يعقوب عليه السلام بكل هدوء واقتضاب، ﴿يَٰبُنَىَّ﴾ بصفة البنوة التي تستلزم من إخلاص النصح له. ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ أمره بالكتمان وعدم الإفصاح، وكأنه

(33) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (527/1).

(34) اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي الحنبلي النعماني، (435/16).

(35) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، (237/3).

(36) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (584/2).

(37) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (401/1).

(38) المرجع السابق، (493/1).

(39) فيض البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان القنوجي، (301/6).

يقول له: يا بني: إني لك ناصحٌ بأن لا تخبر أخوتك بهذه الرؤيا، ولم يكتف بالأمر المحض الذي يشعر الابن بالسلطة والقهر، بل أعقب ذلك بتوجيه رأيه وتبريره ليكون عن اقتناع ورضا، فقال: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ فيحسدوك[40]. ويضمروا لك الإيذاء والشر، ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ فلم يكتف بذكر النتيجة وإنما أكد على السبب والباعث لها وهو الشيطان[41]. فكل ما سينتج عند إخبارك لإخوتك بهذه الرؤيا من الحسد الذي سيحملهم على الكيد بك إنما هو من الشيطان الرجيم، فالشيطان عدو أزلي بين العداوة، إما إخوتك فهم غالباً ما يكونوا متأثرين بأسباب العداوة لا متأصلين بالعداوة ابتداء.

**الحوار الثاني:** ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يوسف:11-14].

بدأ إخوة يوسف عليه السلام الحوار مع أبيه يعقوب عليه السلام في هذا الموضع، بحوار استفهامي: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾، «وكأنهم بذلك يريدون أن يقدموا لأمر بيتوه في ضمائرهم مكراً وشراً، عطفاً على إظهار خلاف ما هو مظنون بهم من التسبب في الإضرار بأخيهم يوسف عليه السلام فيصدقهم في دعواهم أن أي ضرر يقع عليه إنما هو من غيرهم لا منهم»[42]. وتأكيداً لما سبق قدّموا كلامهم بقولهم: ﴿يَٰٓأَبَانَا﴾ وهو خطابٌ يحمل في تضاعيفه استجلاباً لعطف الأبوة وحنانها الفطري تجاه الأبناء[43].

ثم تقدموا إليه بطلبهم قائلين: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ «اسمح بإرساله معنا غدا يتنزه في البرية ويستأنس، وسنراعيه، ونحفظه من أذى يريده»[44]. فلا حكمة من منعه الخروج معهم.

ويستمر الحوار بين يعقوب عليه السلام مع أبنائه، ليقول لهم: ﴿إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾ إنه لا يخونهم ولا يقدح في حرصهم على أخيهم، وإنما هو أمر نفسي باعثه الخوف من مفارقة يوسف عليه السلام ولو كانت يسيرة، وأنه ربما حصل في ذلك الجزء الزمني القصير اعتداء عليه من وحوش البرية في غفلة منهم وانفضاض عنه لانشغال بمواشيهم[45].

فما كان منهم إلا أن بددوا مخاوفه بقولهم: ﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ أي: «والله لئن أكله الذئب ونحن جماعة كبيرة»[46]، حريصون على حفظه، لا خير فينا ولا نفع يرجى منا إن أكله الذئب وغلبنا عليه»[47].

وهنا لا يمكن لنبي الله يعقوب عليه السلام إلا أن يلبي لأبنائه رغبتهم في اصطحاب يوسف عليه السلام إلى البرية بعد التعهد منهم له بحفظه وعدم تعريضه للأخطار التي يتعرض لها الرعاة في الصحراء.

إن المتأمل في استعمال يعقوب عليه السلام للغة الحوار باعتباره وسيلة للتواصل مع أبنائه ليتعجب من ثرائها وفعاليتها من حيث غلبة الهدوء والرقي والعقلانية في أثنائها، إضافة إلى اتساع مساحة الاحترام ومد جسور الثقة فيها بينه وبين أبنائه، فنجدها مليئة بالأسئلة والأخبار وتقرير النتائج وبيان المبررات والدفاع عن الآراء والاستماع إلى الآخر وعدم الاستهتار برأيه وتقديم التجارب والخبرات.

ويمكن لكل للأب أن يتمثل خطى الأب القدوة في ظلال هذه الحوارات من خلال النقاط التالية[48]:

1- احترام وتقدير محاوره أيّاً كان وضعه، صغيرًا أو كبيرًا، زوجة أو ابناً أو بنتًا.

2- الإنصات والاستماع الجيد لأي شكوى أو مشكلة أو استفسار من الأبناء والبنات، وعدم إصدار الأحكام المسبقة في حقهم.

3- الاستعداد التام للحوار مع الأبناء والبنات والتفاعل معهم أثناء الحوار معه بكل ما لدى الأب من أحاسيس ومشاعر، وأن يكون قريبا منه في جلوسه، ويغمره باهتمامه، والتفاعل معه، ولا ينشغل عنه، وأن يتركه حتى يكمل شكواه أو حديثه، ولا يظهر مللـه من كثرة كلامـه، ولا يقاطعه، وأن يتحلّى بالصبر حتى فراغه، ثم يتكلم بعد الإنصات له، ويجيب على قدر السؤال الموجه له.

- **المطلب الثاني: محبتهم والخوف عليهم:**

زرع الله تعالى في الآباء محبة أبنائهم والخوف عليهم وهذا يستلزم العطف عليهم ودلالتهم على ما يصلح لهم من في مسيرتهم في هذه الحياة، وهذا المعنى يتأكد عند الأب القدوة، فهو وإن كان يحمل أبناءه على خوض غمار الحياة وتحمل المسؤوليات وأداء الواجبات، إلا أنه يجب عليه أن يعبر لهم عن حبه لهم وشفقته عليهم، وهذا ما كان في شأن يعقوب عليه السلام مع بنيه، ويمكن تلخيص ذلك في التالي:

1- أنه يصدّر خطابه إلى أبنائه عموماً بقوله: ﴿يَٰبَنِيَّ﴾، وخطابه لابنه يوسف ﴿يَٰبُنَيَّ﴾، مع أنه كان بوسعه أن يوجه الخطاب إلى أبنائه أو أحد أبنائه باسمه، ﴿إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾ [يوسف:13] إنه لا يخونهم ولا يقدح في حرصهم على أخيهم، وإنما هو أمر نفسي باعثه الخوف من مفارقة يوسف عليه السلام ولو كانت يسيرة، وأنه ربما حصل في ذلك الجزء الزمني القصير اعتداء عليه من وحوش البرية في غفلة منهم وانفضاض عنه لانشغال بمواشيهم.

2- ومن المواضع التي أوضح فيها يعقوب عليه السلام لبنيه عن تلك الأحاسيس والمشاعر تجاه أبنائه، قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ [يوسف:66] قال ذلك عندما رجعوا بمتاعهم إلى أبيهم معتذرين بأنهم لا بد من إحضار أخيهم إلى مصر حتى يمتاروا، فحمله الخوف عليه والعطف عليه أن يشترط عليهم أن يقسموا يميناً مؤكدة أن يعيدوه إليه إلا أن يُحيط بجميعكم ما لا تقدرون معه على أن تأتوني به، ومعلوم ما في نقض مثل تلك اليمين المؤكدة من خسارة الدنيا والآخرة، فلما تعاهدوا وتعاقدوا على ذلك أسلمه إليهم[49].

3- ويزيد في تأكيد تلك المشاعر وإبرازها فيبوح بها لأبنائه، وهم قد عزموا السفر إلى مصر: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ

(40) انظر: معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، (479/2).
(41) انظر: المرجع السابق.
(42) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، (320/4).
(43) انظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (12/3).
(44) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (394/1).
(45) انظر: المرجع السابق.
(46) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (13/3).
(47) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (394/1).
(48) د. صلاح بن محمد الشيخ، من مقال بعنوان: الحوار مع الأبناء، بتصرف، موقع الألوكة، https://www.alukah.net/social/0/159182
(49) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (163/16).

مُتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: 67]. ذلك النداء المليء بالعطف والحب والحنو، ثم يوصيهم إذا أرادوا دخول مصر: ﴿لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾، وداعي ذلك الخوف محمول على أمرين: إما العين؛ وذلك لاستقامة خلقهم وحسن صورهم وامتداد قامتهم، وإما الخوف من أن ينظر إليهم جند الملك وهم مجتمعون ومقبلون عليهم نظرتهم إلى العدو المجمع على الاعتداء على الملك وقتله، وربما كان تفرقهم سبباً في أن يروا يوسف عليه السلام عند أحد أبواب مصر[50]، والعلم عند الله.

4- طالت سنوات فراق يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام، إلا أن ذلك لم يطفئ تلك المشاعر والأحاسيس، ولم يجد يعقوب عليه السلام غضاضة في أن يكرر البوح بها لأبنائه، يقول الله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: 84]، «عندما أخبر أولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام أباهم بخبر أخيهم، كان وقع الحزن عليه شديداً، فتقرَّحت عيناه وابيضتا من البكاء، وأهاج ذلك فيه الأسى القديم والشوق المقيم على يوسف عليهما السلام»[51].

إن يعقوب عليه السلام لم يأنف من أن يظهر مشاعر الحب والشفقة تجاههم، ولم يبخل عليهم بكلمة البنوة التي تعني الاحتواء والحنو والعطف وتشتمل عليه، مع ما قابلوه بهم من الخطايا والعظائم، وهذا هو شأن الأب الصالح فهو سخي بالمشاعر والكلمات الحانية على أبنائه دون تفريق أو تفضيل لأحدهما على الآخرين، وما أعظم ذلك التصرف من الأب في إشاعة روح الثقة بين الأبناء، والقضاء على سوء الظنون والصور السلبية تجاه بعضهم البعض، فالجميع له مقام عند الأب من الحب والاهتمام والتقدير.

- **المطلب الثالث: الحلم والصبر عليهم:**

صبر يعقوب عليه السلام على أذى أبنائه صبراً أعجز الآباء، وحلم عليهم حلماً أقل ما يقال فيه أنه من أعاجيب الدنيا، فها هو عندما استقبله أبناؤه بعد أن ألقوا يوسف عليه السلام في البئر، واتهموا بقتله الذئب بدم مزيف، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:18]. إن يعقوب عليه السلام لم يكن من السذاجة والغفلة لتنطلي عليه هذه الفعلة، إضافة إلى أنه نبي معلَّم، وذلك الإحساس الأبوي في أن يوسف عليه السلام لم يمت.

ترى، هل سيضربهم، أو يشتمهم، هل سيدعو عليهم، لقد كان في منتهى الوقار والهدوء ولم يزد على أن أخبرهم بأنهم حاكوا مؤامرة خبيثة أدت إلى تغييب يوسف عليه السلام عنه، وأنه سيصبر ولن يظهر الجزع والسخط، والله ناصره عليهم.

وقد تكرر هذا القول مرتين بينهما عشرات السنين، الأولى: عندما ذكر له أبناؤه أن الذئب قد أكل يوسف، والأخرى: عندما ذكروا له أن أخاهم بنيامين قد أخذه ملك مصر، وفي هذه المرة قال: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 83]، ها هو يقف من جديد صابراً محتسباً، لم يعنف ولا يجرح ولم يلق باللوم على هذا أو ذاك، لكن الأبناء يخسرون ثقة أبيه يعقوب عليه السلام. «لأن فعلهم بأخيهم هذا مترتب على فعلهم الأول بيوسف عليه السلام»[52].

ويستمر الأبناء في تقنيط أبيهم من عودة يوسف عليه السلام فقد توالت السنون وأصبح يوسف من حديث الماضي، ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف:85]، فيقولون له متعجبين من حاله: «لا تزال تذكر يوسف في جميع أحوالك حتى تكون فانيا لا حراك فيك ولا قدرة على الكلام»[53]. ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف:95]، «قالوا يا يعقوب إنك لفي ذهابك عن طريق الصواب الذي كنت عليه قديماً من إفراط حبك ليوسف لا تنساه ولا تفتر عنه»[54].

لقد كان يعقوب عليه السلام مثالاً للأب الحليم الصابر على أبنائه، وهذا شأن الأب الصالح ينهل من معين يعقوب عليه السلام في الصبر على مهام التربية لأبنائه، ويتعامل معهم بأقصى درجة الحلم والصفح في هدوء ووقار يحفظ له مكانته بين أبنائه راجياً أن من وراء ذلك صلاحهم ولو بعد حين، وكان ذلك عندما قالوا لأبيهم في آخر المطاف وهم نادمون: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف:97-98]. فأقروا بذنبهم ونجعوا بذلك و﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ حيث فعلنا معك ما فعلنا.

فـ﴿قَالَ﴾ مجيبا لطلبتهم، ومسرعا لإجابتهم: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ «أي: ورجائي به أن يغفر لكم ويرحمكم، ويتغمدكم برحمته، وقد قيل: إنه أخر الاستغفار لهم إلى وقت السحر الفاضل، ليكون أتمَّ للاستغفار، وأقرب للإجابة»[55].

إنه النموذج الأرقى للحلم والصبر على الأبناء، وهذا ما تقتضيه الحكمة وتمام العقل، فيا له من نبي كريم وأب صبور حليم.

- **المطلب الرابع: تعميق علاقتهم بالله تعالى:**

كان يعقوب عليه السلام شديد العناية بتوثيق علاقة أبنائه بالله تعالى توحيداً وإخلاصاً له بالعبادة دون غيره، وهذا ما يجده المتأمل في مسيرة يوسف عليه السلام، فهو على رغم وجوده في مصر، واجتماع كل دواعي الحياة المترفة، فعندما دعته امرأة العزيز إلى حياة الملذات والمجون تحت وطأة التهديد الشديد كان رده: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:33]، وعندما مرّ بتجربة السجن المريرة الطويلة لم يؤثر ذلك على علاقته بالله تعالى، ولما طلب منه صاحباه في السجن تأويل رؤياهما، كان حديثه معهما يدور حول التوحيد توجيهاً لهما وتعليماً، فهذه هي القضية الأساسية التي لا تتحمل التأجيل عنده، بينما تعبيره لرؤياهما أمر ثانوي يحتمل التأجيل، قال تعالى حاكياً عنه: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٧ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

(50) انظر: تفسير القرآن، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، (47/3).

(51) انظر: تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (404/1).

(52) انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، (347/4).

(53) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (404/1) بتصرف.

(54) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، (64/3).

(55) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (405/1).

يَعْلَمُونَ ۝ يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف:37-41].

– ومن حرص نبي الله يعقوب عليه السلام على أن يعمق هذا المعنى في أعماق أبنائه أن وصيته لما دنا أجله، كانت أن أكد عليهم ضرورة التوحيد؛ قال الله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:133]. «وقال الكلبي: لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيران، فجمع ولده وخاف عليهم ذلك، فقال عز وجل: إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي؟ قال عطاء: إن الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحياة والموت، فلما خير يعقوب قال: يا رب أنظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم، ففعل الله ذلك به، فجمع ولده وولد ولده وقال لهم: قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق»[56].

إن يعقوب عليه السلام من خلال تعزيز هذه القيمة لدى أبنائه يعلّمهم بأنهم لم يخلقوا في هذه الدنيا عبثا وبمحض الصدفة، وإنما خلقوا ليعبدوا الله تعالى ولا يشركوا به شيئاً، وهو بذلك يقوم مقام الأب القدوة الذي يعمق في أبنائه محبة الله تعالى وخوفه وتوحيده وتعظيمه في نفوسهم.

- **المطلب الخامس: تعزيز الجوانب الإيجابية فيهم:**

كان يعقوب عليه السلام لبنيه مثالاً للأب المتفائل الممتلئ بالنظرة الإيجابية، فبعد أن عاد أبناؤه إليه، مطرقي رؤوسهم لثبوت جرم السرقة على أخيهم وتخلف أخيهم الكبير في مصر، فنجده رفع من همهم، وبعث الأمل في نفوسهم بقوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف:83]، «قال بل سولت لكم، زينت، أنفسكم أمرا، فيه اختصار معناه: فرجعوا إلى أبيهم وذكروا لأبيهم ما قال كبيرهم، فقال يعقوب: بل سولت لكم أنفسكم أمرا، أي: حمل أخيكم إلى مصر لطلب نفع عاجل، فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا، يعني: يوسف وبنيامين وأخاهم المقيم بمصر، إنه هو العليم، بحزني ووجدي على فقدهم، الحكيم، في تدبير خلقه»[57]. إنه التفاؤل المحمود الذي ينبع من صادق الإيمان بالله وحسن الظن به، والاطمئنان إلى تدبيره وتصريفه لشؤون خلقه.

وتعظم تلك الروح المشحونة بالأمل والنظرة الإيجابية للمستقبل حيث وجههم لعدم اليأس من روح الله وبذل الأسباب الممكنة، بعيداً عن الآمال المبنية على الأوهام والأحلام، فيخاطبهم بقوله: ﴿يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف:87]. فهو ندب بنيه إلى الذهاب في الأرض يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين، والتحسس يكون في الخير، والتجسس يكون في الشر، ونهضهم وبشرهم وأمرهم أن لا ييأسوا من روح الله أي لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه، فإنه لا يقطع الرجاء ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون[58]. وهكذا خط الأب الصالح لأبنائه طريق الأمل المحفوف بحسن الظن بالله تعالى والتوكل عليه، وعلى عدم القنوط من رحمته ورجاء الخير منه وإن اشتدت بهم الأزمات وعطفت بهم الملمات.

(56) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، (171/1).

(57) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، (508/2).

(58) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، (348/4).

## المبحث الرابع

## الفوائد التربوية المستفادة للآباء

## من قصة يعقوب من منظور قرآني

حفلت قصة يعقوب عليه السلام في القرآن الكريم بالدروس الملهمة للآباء الذين يطمحون إلى أن يكونوا قدوة يحتذى بها في بيوتهم وبين أفراد أسرهم، وأهم تلك الفوائد ما يلي:

– السمة الغالبة في بيت الأب القدوة الحوار المثمر القائم على التواصل الفعال فيما بينه وبين أبنائه، فيستمع إليهم كما في حال يعقوب عليه السلام مع ابنه يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ﴾ [يوسف:4]، وقوله تعالى ويجيب على سؤالاتهم، فيقول له: ﴿قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف:5].

– الأب القدوة يظهر مشاعره وأحاسيسه تجاه أبنائه، فيعبّر لهم عن محبته وشفقته وخوفه عليهم، فها هو يعقوب عليه السلام يبرر لأبنائه عدم إرساله ليوسف عليه السلام معهم إلى البرية، فيقول لهم: ﴿إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ﴾ [يوسف:13]، ولما أراد أن يرسل أبناءهم إلى مصر قال لهم: ﴿يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ﴾ [يوسف:67].

– الأب القدوة لا يجهد نفسه في اختبار نوايا الأبناء بناء على ظنون لا أساس لها من الواقع، فعندما قال أبناء يعقوب لأبيهم في حق يوسف عليهما السلام: ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ﴾ [يوسف:14] أرسل معهم يوسف ولم يمانع بناء على ظنون لا يصدقها الواقع مع وجود بوادر الحقد منهم عليهم في تصرفاتهم.

– الأب القدوة يؤصل في نفوس أبنائه قيمة المحبة فيما بينهم، والاجتماع وعدم الفرقة، وأن لا يبدوا أمام بعضهم أي شيء قد يؤثر في علاقتهم فيما بينهم ويوغر صدورهم على بعض، خيراً كان أو شرا، صغيراً كان أو كبيرا. فعندما قص يوسف على أبيه يعقوب عليه السلام رؤياه قال له والده: ﴿قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف:5]، إنه يأمره بأن يكتمها عنهم، لأن إخباره بها لهم يشعرون بالفضل والتمييز عنهم فيحسدونه على ذلك ويسول لهم الشيطان الكيد والإضرار به، فتنفصم عروة الأخوة بينهم ويسود بينهم الشقاق وتصيبهم القطيعة.

– الأب القدوة سخيّ في إفادة أبنائه، فربما حدَّثه أحدهم بحديث أو سؤال أو خبر وكان هناك مجال لأن يذيل رده عليه بنصح أو توجيه أن لا يتردد في ذلك، فعندما أمر يعقوب عليه السلام أبناءه أن يدخلوا مصر من أبواب متفرقة، لم يكتف بالنصح بل أضاف إلى ذلك فقال: ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: 67]. «قوله: ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ﴾ مَعْنَاهُ: إن كان الله قضى فيكم قضاء فيصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين، فإن المقدور كائن والحذر لا ينفع عن القدر، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾، ما الحكم، ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾، هذا تفويض يعقوب أموره إلى الله، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، اعتمدت، ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾»[59].

(59) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، (503/2).

– الأب القدوة يحسن مناداة أبنائه، وذلك بأن يخاطبهم ويدعوهم إليه بما يشعرهم بقيمتهم ومكانتهم عنده. فنجد يعقوب عليه السلام يصدر خطابه لابنه يوسف بقوله: ﴿يَٰبَنِيَّ﴾، وخطاباته لأبنائه بقوله: ﴿يَٰبَنِيَّ﴾، وفيه مناداتهم بذلك تأكيد على أنهم عنده ذوو قيمة ومحبة. وفيه أثر إيجابي على الأبناء منه:

أ– نسبة الابن إلى نفسه، تنبه الابن إلى معاني الأبوة في الكلام المقبل على تلقيه، فتلجأه على طاعة أمر والده، الذي يفيض بحب الخير للأبناء، وكراهة كل ما يسوؤهم، وطاعة مثل هذا الأمر أقرب من عصيانه.

ب– أنها مشعرة بنوع شفقة وحرص أبوي يناسب مقام النهي والتحذير، والسامع للعبارة يستشف منها معنى: أنت مني، ولذا أشفق عليك فلا تفعل.

ج– جاء النداء بأداة النداء ﴿يا﴾ مع لفظ البنوة مُصغرًا ﴿بُنَيَّ﴾ دلالةً على المحبة وإخلاص النصح، وتنبيهًا على شدة وقُرب مكانة الابن من الأب.

د– التحبب ويفيده تصغير ﴿بُنِيَّ﴾، وهذا ما كان من يعقوب مع يوسف عليهما الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يوسف:5].

– الأب القدوة يوضح لأبنائه أخطاءهم ويصارحهم بها، ويبين لهم حجم خطورتها ومدى غضبه عليهم جرّاء فعلهم لها. فيعقوب عندما أدرك من أبنائه كيداً بأخيهم يوسف عليهما السلام، أبدى لهم ذلك وأوضحه في قوله: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:18].

– الأب القدوة يتحلى بالصبر والحلم مع أبنائه، فلا يعالج الخطأ بالخطأ، فيعتدي على ابنه المخطئ بما يفسد عليه بدنه أو شيئاً منه أو يدعو عليه بالهلاك أو الجنون أو نحو ذلك، فيترتب على الخسارة خسارة أخرى وهكذا، لذا نجد يعقوب عليه السلام عندما أخبره أبنائه بأن الذئب قد أكل يوسف عليه السلام لم يزد يعقوب عليه السلام على أن قال: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:18]. فلئن يصاب الأب في أحد أبنائه أهون عليه من أن يصاب في اثنين أو أكثر.

– الأب القدوة يجتهد في تأصيل قيمة مراقبة الله تعالى، وتعظيم قدره في نفوس أبنائه، فتقوى الله تعالى لا بد وأن تعيدهم إلى الله تعالى ولو بعد حين، فعندما أخذ يعقوب عليه السلام الميثاق من أبنائه على أن يعيدوا إليه أخاهم، أشهد الله تعالى على هذا الميثاق، فقال لهم: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ [يوسف:66]. «أي: الله على ما قلناه من طلبي الموثق منكم وإعطائكم لي ما طلبته منكم مطلع رقيب لا يخفى عليه منه خافية فهو المعاقب لمن خاس في عهده وفجر في الحلف به، أو موكول إليه القيام بما شهد عليه منا»(60).

– الأب القدوة يؤصل في نفوس أبنائه عداوة الشيطان الأبدية، ويذكر لهم أنه من أخطر أسلحته التي يفتك بها في الناس ويفرق بها بين الأزواج والإخوان الغل والحقد والحسد، قال يعقوب في معرض نصحه لابنه يوسف عليهما السلام: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾، فعداوة الشيطان المتأصلة لبني آدم تحمله على أن يوقع بين الأخ وأخيه.

– الأب القدوة يحرص على ربط الأبناء بالله تعالى، ويبين لهم أن الاستمرار على الاستقامة لله تعالى هي أساس كل خير وسبب كل فضيلة، ونجد ذلك في وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:133] ولم يطمئن حتَّى سمعها من أولاده وأحفاده، وأقرّوا أمامه أنَّهم سيعيشون وسيموتون على ملَّة الإسلام والتَّوحيد الخالص ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

– الأب القدوة يربط الأبناء بآبائهم وأجدادهم الخيار الصالحين. وذلك في توجيه يعقوب ابنه يوسف عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [يوسف: 6] فإطلاق لفظ الأبوة ﴿أَبَوَيۡكَ﴾ على أجداده يشيد بأهمية الرباط الوثيق بين الأصول والفروع، ليورثوا منهم أخلاقهم الفاضلة، فالوراثة لا تختص بالمال، بل الصفات والأخلاق والآداب والعلوم.

– الأب القدوة يعمق في نفوس أبنائه مبدأ تحمل المسؤولية من خلال إسناد المهام إليهم للوفاء بها، ولا يمنعه الخطأ منهم من تكرار ذلك عليهم حتى يكونوا على قدر المسؤولية، ﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ [يوسف:66]. إنه لا يزال يتذكر ما كان من أمر يوسف عليه السلام معهم، لكن ذلك لم يمنعه من أن يسند إليهم مهمة حفظ أخيه على أن يعطوه المواثيق على أن يكونوا على قدر المسؤولية.

– الأب القدوة يربي أبناءه على أن التفاؤل يستلزم الأخذ بالأسباب الدنيوية مع حسن الظن بالله تعالى، وذلك ما نجده في نداء يعقوب عليه السلام لأبنائه: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:87]، فهو يدعوهم إلى السعي وبذل الجهد، وأن يكونوا على ثقة بفرج الله وتنفيسه ورحمته، وأن لا يفقدوا الرجاء في ذلك فذلك من الإيمان به سبحانه وتعالى.

– الأب القدوة يفتح لأبنائه نوافذ الأمل وإصلاح الأخطاء مهما كان حجمها، فيعقوب عليه السلام عندما جاء إليه أبنائه معترفين بجرمهم الكبير تجاهه وتجاه أخيه قائلين: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:97]، كان جوابه عليهم: ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف:98]، فأعلمهم أن الأمل في التغيير، وأن إصلاح الأخطاء ممكن، فالله تعالى يغفر الذنوب جميعاً ورحمته وسعت كل شيء.

– الأب القدوة هو أب إيجابي متفائل يوجه إلى الخير إذا حل البلاء ويسارع إلى نقل من أهمه أمر ما إلى جانب آخر مشرق يبعث في نفسه التفاؤل، ويقوده إلى الاطمئنان، ويحثه على العمل الدؤوب، لتنقلب المحنة إلى منحة، فيعقوب عليه السلام نقل ابنه من هذا الهم الذي يعيشه إلى ما وراءه من مستقبل مشرق، فقال له: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ﴾ [يوسف:6]، ففيه قراءة الجانب المشرق في النازلة، وبث روح التفاؤل، وهو منهج النبي صلى الله عليه وسلم كما دل عليه موقفه في صلح الحديبية.

– الأب القدوة يحسن استثمار الأحداث فتخصيص يوسف بكاف الخطاب في قوله: ﴿يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ إشعار له بخصوصية العلاقة بينه وبين الله سبحانه وتعالى، وإيناس له وهو في هذه السن المبكرة. والمعنى: يختارك ويصطفيك لمهمة سيوكلها إليك. وهذه المهمة تحتاج إلى تهيئة وتدريب واستعداد، وأنت ما تزال طفلاً صغيراً. ولكن الذي يختارك ويجتبيك هو ﴿رَبُّكَ﴾ وهو القائم على شؤونك، ورعايتك، وتدريبك.

– الأب القدوة شاكر لأنعم الله ومعلم ومربٍّ لأبنائه على ذلك بنسبة

(60) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان القنوجي، (367/6).

الفضل إلى الله تعالى، وهذا ما فعله يعقوب عندما سرد شيئا من النعم الدينية والعلمية والاجتماعية على مسامع يوسف وأفهمه أن الله اجتباه وعلمه من تأويل الأحاديث وأن هذه تمام النعمة عليه ليتربى على شكر الله تعالى.

– الأب القدوة يربي أبناءه على الورع وحسن الظن بالناس، وهو ما فعله يعقوب عليه السلام حين وَكَلَ سرائر أبنائه إلى الله تعالى مع علمه بسوء صنيعهم، من خلال قرائن أحوالهم ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

– الأب القدوة مدرك لنفسيات أولاده ومتابع لأحوالهم، فقد أدرك يعقوب عليه الصلاة والسلام بحسه وبصيرته أن وراء هذه الرؤيا شأناً عظيماً ليوسف عليه الصلاة والسلام فوجهه إلى أخذ الحيطة والحذر وكتمان الرؤيا لإتمام النعمة، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يوسف:5].

– الأب القدوة يراعي المراحل العمرية لأبنائه واحتياجاتها، ومنها مرحلة الطفولة، وما بعدها، فيوسف وإخوته كانوا يخرجون للهو واللعب وهم أبناء نبي، قالوا: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف:12].

– الأب القدوة يجتهد في ضبط النفس وقوة التحكم في العواطف، فلو تأملنا في موقف يعقوب عليه السلام مع أبنائه لما قال له أبناؤه ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ [يوسف:97] كيف كان موقفه؟! هل طردهم؟!.. هل عاقبهم؟!.. هل عنفهم؟!!بل لم تصدر منه عبارة تسيئ إليهم، ثم ها هو يصفح الصفح الجميل كما صبر الصبر الجميل ﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ﴾ [يوسف:98].

– الأب القدوة يعفو ويصفح عن أبنائه في حال خطأهم، بل ويدعو لهم بالخير، ﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف:98]، ومما يجدر التنبه له تجنب الدعاء عليهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم))[61].

**الخاتمة**

إن الناظر في واقع التربية الأسرية في هذا الزمن المتأخرة ليقف على كثير من المشاكل والظواهر الأسرية بالغة الخطورة، والتي أثرّت بصورة كبيرة في تكوين شخصية الشاب المسلم، ذلك الشاب الذي لا يلبث أن يكون أباً مسؤولاً يعول أفراد أسرته ويقوم على تربية أبنائه ليجعل منهم نواة صالحة في المجتمع الذي يعيش فيه، إلا أنه ولغلبة الموجهات المتعددة من قنوات تليفزيونية ومواقع إلكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي، والتي تصب في قالب المتعة والرؤى الحالمة الافتراضية، غاب الشاب عن منابع التوجيه الجاد، وتنكّر الأبناء لحقوق الآباء ومآثر الأجداد، ما استرعى اهتمام المربين والموجهين، فأخذوا يبحثون عن مكامن الخلل، والأب القدوة التي يضرب به في محيطه المثل، فجاء هذا البحث ليستلهم من شخصية نبي الله يعقوب عليه السلام تلك الملامح التربوية للأب القدوة على ضوء القرآن الكريم، من خلال منهج استقرائي تحليلي استنباطي، وتطرق البحث لحياته قبل الأبوة، وأبرز صفاته، ثم كيف تعامل مع أبنائه، وكيف واجه المشكلات التي اعترضته في ذلك الطريق، لتكتمل تلك الصورة المثلى لكل أب يبحث عن نموذج صالح يقتدى به في إدارة البيت والتعامل مع مشاكل الأبناء، وثمرات تلك التجربة وإمكانية الاستفادة منها في إدارة البيوت وتربية الأبناء.

**النتائج:**

من خلال البحث في ثنايا هذا الموضوع توصلت إلى النتائج التالية:

1- أن الأبوة الصالحة أمر كسبي يقوم على توافر عدد من الصفات في الشاب تؤهله إلى أن يكون أباً يقتدي به نظراؤه من أبناء مجتمعه، كالاستقامة في الدين وحسن الخلق والعمل الشريف.

2- هناك بعض العوامل الفطرية المساعدة في تشكيل شخصية الأب القدوة، ككرم المعدن، وشرف النسب.

3- أن شخصيات الرسل والأنبياء عليهم السلام من منظور القرآن الكريم من أهم حقول البحث العلمي التربوي وأخصبها، لا سيما ما يتعلق بسمات الأبوة الصالحة القدوة.

4- توافرت في شخصية يعقوب عليه السلام جميع سمات الشخص الذي تنطبق فيه مقومات الأب القدوة للأجيال من بعده.

5- تجلت شخصية يعقوب عليه السلام الأبوية المثالية في التعامل مع أبنائه من خلال ما يأتي:

أ- كان يعقوب عليه السلام قريباً من أبنائه، دائم الحوار معهم، معتمداً عليه في إصلاحهم، ويتخولهم بالنصح والتوجيه.

ب- كان عالي الثقة في أبنائهم، ولا يجد غضاضة في إظهار مشاعرهم ومخاوفهم تجاههم وشفقته عليهم.

ج- كان يعقوب عليه السلام مثالاً للأب الحليم الصابر على أبنائه، يتعامل معهم بأقصى درجة الحلم والصفح مع كثرة أخطائهم، راجياً من وراء ذلك صلاحهم ولو بعد حين.

د- ربى يعقوب عليه السلام أبناءه عن التوحيد، وأنهم خلقوا ليعبدوا الله تعالى ولا يشركوا به شيئاً، وذلك يستلزم تعميق الصلة به محبته وخوفه وتعظيمه في نفوسهم.

هـ- عمق يعقوب عليه السلام في أبنائه مبدأ أن التفاؤل يكون بالإيمان بالله وبذل الأسباب الممكنة، لا في فراغ وسراب الآمال المبنية على الأوهام والأحلام.

و- إن الأبناء يقتدون بالآباء في الأخلاق الحسنة، فيما هم عليه من أعمال طيبة، يتوارثونها جيلاً بعد جيل.

ز- يجب أن تكون العلاقة بين الابن وأبيه؛ قائمة على الثقة المتبادلة، والحوار البناء.

6- أهمية وتأكيد دور قصص الأنبياء في المجال التربوي.

لذا فإني أوصي المشتغلين بالبحث العلمي في حقل التربية والتوجيه أن يكثفوا الأبحاث والدراسات المتعلقة بالإصلاح الأسري في حياة الأنبياء عليهم السلام من خلال تتبع سيرهم وأخبارهم من زاوية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

**الإفصاح و التصريحات:**

**تضارب المصالح:** ليس لدى المؤلفون أي مصالح مالية أو غير مالية ذات صلة للكشف عنها. المؤلفون يعلنون عن عدم وجود أي تضارب في المصالح.

**الوصول المفتوح:** هذه المقالة مرخصة بموجب ترخيص إسناد الإبداع التشاركي غير تجاري 4.0 الدولي (CC BY- NC 4.0)، الذي يسمح بالاستخدام والمشاركة والتعديل والتوزيع وإعادة الإنتاج بأي وسيلة أو تنسيق، طالما أنك تمنح الاعتماد المناسب للمؤلف (المؤلفين) الأصليين. والمصدر، قم بتوفير رابط لترخيص المشاع الإبداعي، ووضح ما إذا تم إجراء تغييرات. يتم تضمين الصور

(61) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث أبي جابر الطويل وقصة أبي اليسر، رقم (3009)، (2304/4).

أو المواد الأخرى التابعة لجهات خارجية في هذه المقالة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقالة، إلا إذا تمت الإشارة إلى خلاف ذلك في جزء المواد. إذا لم يتم تضمين المادة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقال وكان الاستخدام المقصود غير مسموح به بموجب اللوائح القانونية أو يتجاوز الاستخدام المسموح به، فسوف تحتاج إلى الحصول على إذن مباشر من صاحب حقوق الطبع والنشر. لعرض نسخة من هذا الترخيص، قم بزيارة: https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0

**فهرس المصادر والمراجع**

**أ. الكتب والمصنفات:**


- البداية والنهاية، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م، سنة النشر: 1424هـ / 2003م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الحسيني، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، دار الهداية.
- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ)، دار التراث — بيروت، الطبعة: الثانية، 1387هـ.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان السعدي، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ -2000م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العرب، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين — بيروت، الطبعة: الرابعة 1407هـ- 1987م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين (المتوفى: 855هـ)، عمدي القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي — بيروت، بدون تاريخ.
- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا — بَيروت، عام النشر: 1412هـ - 1992م.
- فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ.
- قصص الأنبياء، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1388هـ - 1968م.
- اللباب في علوم الكتاب، النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ -1998م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، الحسين بن مسعود ابن الفرّاء، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1992م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، يحيى بن شرف الدين، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ.


**ب. الروابط الالكترونية:**


- http://www.saaid.net/daeyat/fajr/10.htm
- https://www.alukah.net/social/0/131146
- https://www.naasan.net/index
- https://www.alukah.net/social/0/159182
- https://www.almasryalyoum.com/news/details/20477
- https://dorar.net/hadith/sharh/118739


## List of Sources and References:


- al-Bidāyah wa-al-nihāyah, Abū al-Fidā', Ismā'īl ibn 'Umar ibn Kathīr, al-Bidāyah wa-al-nihāyah, taḥqīq: 'Abd Allāh ibn 'Abd al-Muḥsin al-Turkī, Dār Hajar lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī' wa-al-I'lān, al-Ṭab'ah: al-ūlá, 1418 H-1997 M, sanat al-Nashr: 1424h / 2003m.
- Tāj al-'arūs min Jawāhir al-Qāmūs, al-Ḥusaynī, Muḥammad ibn Muḥammad ibn 'Abd al-Razzāq, Abū al-Fayḍ, almlqqb bmrtḍá, alzzabydy (al-mutawaffá: 1205h), Dār al-Hidāyah.
- Tārīkh al-Ṭabarī = Tārīkh al-Rusul wa-al-mulūk, Waṣlat Tārīkh al-Ṭabarī (Ṣilat Tārīkh al-Ṭabarī l'ryb ibn Sa'd al-Qurṭubī, al-mutawaffá: 369h), al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr ibn Yazīd ibn Kathīr ibn Ghālib al-Āmulī, Abū Ja'far (al-mutawaffá: 310h), Dār al-Turāth – Bayrūt, al-Ṭab'ah: al-thāniyah-1387h.
- Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm, Abū al-Fidā' Ismā'īl ibn 'Umar ibn Kathīr al-Qurashī al-Baṣrī thumma al-Dimashqī (al-mutawaffá: 774h), taḥqīq: Muḥammad Ḥusayn Shams al-Dīn, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Manshūrāt Muḥammad 'Alī Bayḍūn – Bayrūt, al-Ṭab'ah: al-ūlá-1419 H.
- Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān al-Sa'dī, li-'Abd al-Raḥmān ibn Nāṣir ibn 'Abd Allāh,, taḥqīq: 'Abd al-Raḥmān ibn Mu'allā al-Luwayḥiq, Mu'assasat al-Risālah, al-Ṭab'ah: al-ūlá 1420h-2000 M.
- Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl āy al-Qur'ān, al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr, Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl āy al-Qur'ān, Dār Hajar lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī' wa-al-I'lān, al-Ṭab'ah: al-ūlá, 1422 H-2001 M.

- al-Lubāb fī ʻulūm al-Kitāb, al-Nuʻmānī, Abū Ḥafṣ Sirāj al-Dīn ʻUmar ibn ʻAlī ibn ʻĀdil al-Ḥanbalī al-Dimashqī (al-mutawaffá: 775h), taḥqīq: al-Shaykh ʻĀdil Aḥmad ʻAbd al-Mawjūd wa-al-Shaykh ʻAlī Muḥammad Muʻawwaḍ, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah-Bayrūt / Lubnān, al-Ṭabʻah: al-ūlá, 1419 H-1998m.
- Lisān al-ʻArab, Muḥammad ibn Mukarram ibn ʻalá, Abū al-Faḍl, Jamāl al-Dīn Ibn manẓūr al-Anṣārī alrwyfʻá al'fryqá (al-mutawaffá: 711h), Lisān al-ʻArab, Dār Ṣādir – Bayrūt, al-Ṭabʻah: al-thālithah-1414 H.
- al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar bi-naql al-ʻAdl ʻan al-ʻAdl ilá Rasūl Allāh ṣallá Allāh ʻalayhi wa-sallam, Abū al-Ḥusayn, Muslim ibn al-Ḥajjāj Abū al-Ḥasan al-Qushayrī al-Nīsābūrī (al-mutawaffá: 261h), Muḥammad Fu'ād ʻAbd al-Bāqī, Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī – Bayrūt.
- Maʻālim al-tanzīl fī tafsīr al-Qur'ān, al-Baghawī, al-Ḥusayn ibn Masʻūd Ibn alfrrā', taḥqīq: ʻAbd al-Razzāq al-Mahdī, Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī-byrwt, al-Ṭabʻah: al-ūlá, 1420 H.
- al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'ān, Abū al-Qāsim al-Ḥusayn ibn Muḥammad al-maʻrūf bālrāghb al'ṣfhāná (al-mutawaffá: 502h), taḥqīq: Ṣafwān ʻAdnān al-Dāwūdī, Dār al-Qalam, al-Dār al-Shāmīyah-Dimashq Bayrūt, al-Ṭabʻah: al-ūlá-1412 H.
- al-Muntaẓim fī Tārīkh al-Umam wa-al-mulūk, al-Jawzī, Jamāl al-Dīn Abū al-Faraj ʻAbd al-Raḥmān ibn ʻAlī ibn Muḥammad (al-mutawaffá: 597h), taḥqīq: Muḥammad ʻAbd al-Qādir ʻAṭā, Muṣṭafá ʻAbd al-Qādir ʻAṭā, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt, al-Ṭabʻah: al-ūlá, 1412 H-1992 M.
- al-Minhāj sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim ibn al-Ḥajjāj, al-Nawawī, Yaḥyá ibn Sharaf al-Dīn, Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī – Bayrūt, al-Ṭabʻah: al-thāniyah, 1392h.
- al-Jāmiʻ al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min umūr Rasūl Allāh ṣallá Allāh ʻalayhi wa-sallam wsnnh wa-ayyāmuh = Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʻīl Abū Allāh al-Juʻfī, taḥqīq: Muḥammad Zuhayr ibn Nāṣir al-Nāṣir, Dār Ṭawq al-najāh (muṣawwarah ʻan al-sulṭānīyah b'ḍāfh trqym Muḥammad Fu'ād ʻAbd al-Bāqī), al-Ṭabʻah: al-ūlá, 1422h.
- Zād al-Musayyar fī ʻilm al-tafsīr, Jamāl al-Dīn Abū al-Faraj ʻAbd al-Raḥmān ibn ʻAlī ibn Muḥammad al-Jawzī (al-mutawaffá: 597h), taḥqīq: ʻAbd al-Razzāq al-Mahdī, Dār al-Kitāb al-ʻArabī – Bayrūt, al-Ṭabʻah: al-ūlá-1422 H.
- al-Ṣiḥāḥ Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-ʻArab, Abū Naṣr Ismāʻīl ibn Ḥammād al-Jawharī al-Fārābī (al-mutawaffá: 393h), taḥqīq: Aḥmad ʻAbd al-Ghafūr ʻAṭṭār, Dār al-ʻIlm lil-Malāyīn – Bayrūt, al-Ṭabʻah: al-rābiʻah 1407 h- 1987 M.
- ʻUmdat al-Qārī sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, al-ʻAynī, Maḥmūd ibn Aḥmad ibn Mūsá ibn Aḥmad ibn Ḥusayn (al-mutawaffá: 855h),, Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī – Bayrūt, bi-dūn Tārīkh.
- Fṭḥu al-Bayān fī Maqāṣid al-Qur'ān, Abū al-Ṭayyib Muḥammad Ṣiddīq Khān ibn Ḥasan ibn ʻAlī Ibn Luṭf Allāh al-Ḥusaynī al-Bukhārī alqinnawjy (al-mutawaffá: 1307h), almaktbh alʻṣryyah llṭbāʻh wālnnshr, ṣaydā – bayrwt, ʻām al-Nashr: 1412 H-1992 M.
- Fatḥ al-qadīr, al-Shawkānī, Muḥammad ibn ʻAlī ibn Muḥammad ibn ʻAbd Allāh (al-mutawaffá: 1250h), Dār Ibn Kathīr, Dār al-Kalim al-Ṭayyib-Dimashq, Bayrūt, al-Ṭabʻah: al-ūlá – 1414h.
- Qiṣaṣ al-anbiyā', Abū al-Fidā', Ismāʻīl ibn ʻUmar ibn Kathīr, taḥqīq: Muṣṭafá ʻAbd al-Wāḥid, Maṭbaʻat Dār al-Ta'līf – al-Qāhirah, al-Ṭabʻah: al-ūlá, 1388 H-1968 M.